بنية المكان في سرد جائحة كورونا: مقاربة بنيوية تكوينية للسرد الروائي في "حارس زهرة الأوركيدا" لجعفر يعقوب

المصطفى السعيدي
msaidi@uwc.ac.za

علي فرحان
alifa222@gmail.com

مستخلص البحث

إن ما يميز الخطاب الروائي هو بنياته الجدلية المنفتحة، ولعل أهم هذه البنيات، هي بنية المكان التي تعتبر عنصرا محوريا في البناء السردي الروائي، إذ يستحيل وجود أي حكي سردي بدون وجود أمكنة، بل لا وجود لأي أحداث دون حيز جغرافي أو مكاني، فكل حدث لا تتأتى كينونته إلا في إطار مكان و زمان محددين. يهدف هذ البحث على التركيز على الأبعاد الدلالية والرمزية للمكان في السرد الروائي للكاتب جعفر يعقوب في روايته "حارس زهرة الأوركيدا" (2020)، كأنموذج في مقاربتنا التحليلية لبنية المكان في سرد الجوائح، مما يمكن الدارس أو المتلقي من تأويل أبعاده الدلالية و الرمزية التي تتعالق مع بنيات السرد الروائي للوقوف على قيمته الأدبية و الفنية و الجمالية.يعتمد هذا البحث على الوصف التحليلي الذي يوظف السرد الروائي للوقوف على قيمة المكان الأدبية والفنية والجمالية. وتمت الإستعانة بالمنهج البينوي التكويني للوسيان غولدمان (Goldmann) (1913-1970) والذي يتم من خلاله تحليل مضمون بنيات المكان الداخلية النصية، وصولا إلى البنية الثقافية والاجتماعية لهذه البنيات. وخلص البحث إلى أن السمة الأساسية لعنصر المكان أخذت بعدا واقعيا عاما موضوعيا لخدمة تجربة انسانية وواقع معاش يؤرخ جائحة عالمية. كما لعب المكان دورا في فهم السلوك الإنفعالي لشخصيات النص السردي والذي يعكس حالة التفاعل مع المكان ومدى عمق التجربة المرة، وكيف ترجمها الكاتب موظفا إيديولوجيته للتعبير عن الواقع الثقافي والإجتماعي والنفسي الخاص بالمجتمع العربي عامة والمجتمع البحريني خاصة.

الكلمات المفتاحية: "حارس زهرة الأوركيدا" – المنهج البنيوي – المكان-جائحة كورونا.

The Structure of Place in the Narrative Discourse of the Corona Pandemic: A Genetic Structuralist Approach to the "The Orchid Keeper" by Jaafar Yaqoub

Abstract

This study investigates the concept of "structure of place" within the context of the pandemic, utilizing Jaafar Yaqoub's novel "Hāris Zahrat Al-Orkīdah" (The Orchid Keeper, 2020) as a model for analysis. By examining the narrative discourse of this novel, we aim to define and explore the multifaceted dimensions of the "structure of place," a concept that resonates across various literary disciplines, particularly narrative studies. This analysis empowers readers to consciously perceive and interpret the intricacies of place within fictional texts, comprehending its characteristics, types, forms, and semantic and symbolic significance. The study further unravels the interconnectedness of the "structure of place" with other narrative elements, employing analytical description to elucidate its literary, artistic, and aesthetic value. Utilizing Lucien Goldmann's genetic structural approach (1913-1970) as a theoretical framework, the study delves into the textual content of the novel, exploring the internal structures of place, including their cultural and social dimensions. The findings reveal that place setting plays a pivotal role in understanding the emotional dynamics of characters, reflecting the depth of their connection with their surroundings and the profound impact of the pandemic on their lives. The author's skillful portrayal of place, guided by his ideology, serves as a conduit for illuminating the cultural, social, and psychological realities of Arab society in general and Bahraini society in particular.

Key Words: *Hāris Zahrat Al-Orkīdah*,the Genetic Structural Approach, the Structure of Place, Corona pandemic

1. مقدمة البحث

يتسم الفن الروائي باستمرارية التحول وديمومة التطور، ومواكبة الأحداث الاجتماعية بكل تجلياتها، كما يعتبر هذا الجنس الأدبي الأكثر قدرة على استيعاب كل تناقضات المجتمع، و الأكثر قدرة على مواكبة حركة فكر وثقافة المجتمع، وكل المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعل هذا ما جعل ميخائيل باختين (19:1982) يؤكد على أن الفن الروائي بوصفه جنسا أدبيا ما يزال يتطور باستمرار، ولم يكتمل بعد. وانطلاقا من أن هذا النمط الفني اجتماعي بالدرجة الأولى، ورهين الارتباط بالواقع الاجتماعي، فهو يعبر عن قضاياه و مشاكله و طموحاته و همومه، و لعل هذا ما جعل "جورج لوكاتش" من خلال كتابه "نظرية الرواية" (1920) يعتبر هذا الجنس الأدبي نمطا

ملحميا يصور في آن واحد أقدارا بشرية، وكذا المحيط الاجتماعي والطبيعي الذي تحدث فيه هذه الأقدار، فهي تنزع إلى تصوير الحياة تصويرا كليا. و من ثم فإن الرواية -في رأيه- جنس أدبي ديناميكي. أما لوسيان غولدمان فقد استفاد في تصوره للرواية من لوكاتش وماكس إدلر،وجان بياجيه و غيرهم، وقدم فرضيات لها طابع سوسيولوجي، وأن هناك تماثل مطلق بين بنية الرواية وبنية الحياة اليومية في المجتمع، وبالتالي فهو يعتبر أن الرواية مؤسسة اجتماعية رهينة الارتباط بالواقع في كل أشكاله الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على حد تعبيرغولدمان (1986:-110-112). من هذا المنطلق جاء اختيارنا لرواية "حارس زهرة الأوركيدا" لجعفر يعقوب، لنسلط الضوء على إحدى أهم بنياتها السردية ونخص بالذكر بنية المكان في زمن الجوائح، وتحديدا يتم تسليط الضوء على "بنية المكان في زمن كورونا" أو ما يصطلح عليه بجائحة "كوفيد 19". إلا إننا من خلال هذه المقاربة لا تهمنا دراسة الجائحة، بقدر ما يهمنا دراسة المكان المرتبط بهذه الجائحة. حيث سيتم التركيز على معنى المكان في الرواية ومفهومه النقدي الروائي على المستوى اللغوي و الدلالي و الرمزي و الإيحائي، وكذا اختلاف مصطلحاته من فضاء إلى حيز و مكان. إذا كان المكان الواقعي يتحدد بعلاقاته و مفاهيمه المكانية (أعلى، أسفل، متصل، داخل، خارج)، فإن المكان الروائي كما يرى يروي لوتمان، و حسب ترجمة بحراوي (27:1990) فهو بالمقارنة بالمكان الواقعي، وإضافة إلى أبعاده المكانية، يتميز بكونه فضاء لفظيا لا يوجد إلا من خلال اللغة، ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح، أي كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع، إنه فضاء لا يوجد إلا من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب، فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه، وهو الأمر الذي طرحه "جعفر يعقوب" في هذه الرواية التي سنعمل من خلالها على مقاربة مفهوم بنية المكان في زمن هذه الجائحة العالمية التي ما يزال العالم يشكو من كل تداعياتها الصحية والنفسية و الاقتصادية والاجتماعية و غيرها، إذ تشكل هذه البنية إلى جانب بنيات النص الروائي الأخرى القيمة الجمالية و الأدبية للنص الروائي.

يعد مفهوم المكان في البناء السردي عنصرا أساسيا، إذ لا يمكننا فيزيائيا و فلسفيا و سرديا أن نتصور وجود حدث من دون وجود مكان ظرفا لذلك الحدث، و هو الفضاء الذي يكتنف عناصر العمل السردي من زمن و أحداث و شخوص. وللمكان دور فعال في البنية السردية، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالزمن، الأمر الذي حدا ب (باختين، 2002:170) أن يجمعهما في مصطلح الزمكانية و هي في صورها المختلفة، تجسد الزمان في المكان، و تجسد المكان في الزمان دون محاولة فك أحدهما عن الآخر. فلا وجود لأحداث خارج حيز المكان، و كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد، وزمان معين. و قد حاول (لوتمان، 69:1987) أن يعرف مفهوم المكان بأنه مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/العادية مثل الاتصال و المسافة و غيرهما.

و قد تطور الوعي بصورة المكان في السرديات مع تنوع أشكال السرد، وتطور بنائه، و في خضم ذلك ازداد الاهتمام بدراسة المكان بوصفه أحد مكونات الخطاب السردي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل توجهت الدراسات السردية الحديثة إلى العناية و الاهتمام بدراسة بنية المكان بوصفه مكونا أصيلا في توليد الدلالة و المعنى الذي يراد للمتلقي أن يدركه من خلال سياقات الحكي و علاماته اللغوية و الخطابية.

و لم يعد المكان في الرواية المعاصرة مجرد ظرف تجري فيه الأحداث، بل أصبح أحد الفواعل التي تحرك الأحداث و الشخصيات في اتجاه تصاعدي نحو إتقان حبكة العمل السردي.

و المكان سواء أكان مركزيا، أم هامشيا، مفتوحا أم مغلقا، لا يتوقف على بعده الجغرافي المجرد بقدر ما يكون علامة لاستكناه الوجه الثقافي، و تقديم صور الاختلاف و الائتلاف و التمايز بين عوالم الشخصيات و تفاعلاتها، وقدرته على توجيه السرد و تشكيل تمظهراته المختلفة، كما يقدم المكان عبر آليات سردية أشكالا أخرى للإنسان، حيث تتصارع المسافات بين أصوات المركز و أصوات الهامش، كما يبدو المكان تمثيلا نموذجيا للتاريخ الثقافي وحاضره و مستقبله. و قد يحمل المكان بعدا أسطوريا أو رمزيا في قدرته على صناعة توجهات الشخصيات، و تأثيث الفضاء السردي، و المشاركة في تشكيل الخطاب القصصي.

إن رواية "حارس زهرة الأوركيدا" كعمل سردي إبداعي متميز، ظهر إلى حيز الوجود في زمن "جائحة كورونا"، حيث تعتبر ربما أول رواية عربية صدرت في شهر يونيو لعام 2020، تناولت أهم سماتها الأساسية جائحة كورونا في أحلك مراحل الحجر الصحي في عمل روائي إبداعي، تحكي سيرة الشاب "أمير" الذي وجد نفسه عالقا في رحلة سياحية مع أفراد أسرته في تركيا، مما جعله يعاني القلق و الاضطراب النفسي بعين المكان. كما تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على بنية المكان داخل البناء الروائي قيد الدراسة ، نظرا لما لهذه البنية من دور بارز في تشكيل فضاء الرواية، و صناعة المناخ العام الذي تحدث فيه هذه الأحداث، و تتحرك فيه الشخصيات، و تتعالق فيه من خلال علاقاتها بالزمان و المكان، و هو عامل مهم في تطوير بناء الرواية، و لعل هذا هو الأمر الذي أكده بحراوي (33:1990) في سياق حديثه بأن المكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا، و يتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كله. إذ يشكل المكان أحد أركان البنية التحتية للعمل الروائي، فلا يمكن أن يقوم أي عمل روائي في اللامكان، و سواء كان المكان واقعيا أو متخيلا، فإنه في خضم العمل الروائي يتلبس بالتخييل الذي يمنحه خصوصية تميزه عن المكان خارج الرواية.

كما تكمن أهمية هذه الدراسة كذلك في التعرف على معنى المكان الروائي بشكل عام، حيث يكتسي أهمية بالغة في كل نص روائي على اعتبار أنه أحد مكوناته الفنية الأساسية، فهو الوعاء الذي يحوي الحدث الروائي، ففي المكان -حسب تعبير قاسم (104:1985) تولد الشخوص، وتتحرك نحو النمو الروائي، وتتدافع الأحداث نحو التعقيد و الدروة. من هذا المنطلق أردنا أن نسلط الضوء على مفهوم المكان في رواية "حارس زهرة الأوركيدا" توجب لجعفر يعقوب، هذا الأخير الذي أعطى للمكان بعدا مختلفا عن طبيعة الفضاءات و الأمكنه الأخرى في خطابه السردي، حيث أصبح البعد الدلالي للمكان يتماشى وزمن جائحة كورونا التي أصبحت تعاني منها كل شعوب المعمورة، حيث شكلت عدة أزمات صحية و نفسية و اقتصادية و اجتماعية و غيرها، فقد أصبحت أمكنة الرواية تحمل معاني سلبية تثير الخوف و الهلع لدى المتلقي، من هنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الرواية بكل بنياتها الفنية و لا سيما "بنية المكان" واكبت هذا التحول الاجتماعي، و ابتدعت شكلا جديدا لمفهوم و معنى المكان بكل أبعاده و تجلياته.

ففي مرويات الجائحة وجدنا أن المكان يحضر بوصفه ذاكرة يتم تكريسها واستعادتها لرفض عملية التخييل السردي لينفتح على ممكنات أوسع من كونه فحسب خلفية للسرد أو ظرفا لأحداثه، وهو ما نجده متجسدا وماثلا في هذا الخطاب السردي لهذه الرواية، ولربما سنجده في خطابات سردية أخرى تتزامن مع جائحة كورونا.

2. أهداف البحث

تتلخص أهداف هذا البحث فيما يلي:

1. تسليط الضوء على معنى المكان و تحديد مفهومه النقدي الروائي، و فهم خصائصه و أنواعه و تجلياته، و الوقوف على أبعاده اللغوية و الدلالية و التأويلية.

2. تحديد مفهوم البنية المكانية في النص الروائي - قيد الدراسة - لجعفر يعقوب و مدى علاقتها بزمن جائحة كورونا، و إبراز القيمة الفنية التي يمتلكها السارد في وصف المكان على اعتبار أن العمل الروائي ككل هو نتاج لما يصدره المبدع من خلال لغته الخاصة التي تعكس واقع عصره بكل ما يحمله من آمال و آلام.

3. الوقوف على الدور الكبير الذي يلعبه عنصر المكان في البناء الروائي، باعتباره المرشد الأساسي للقارئ في تتبع مسار الأحداث الروائية منذ بدايتها إلى نهايتها، و كذا إظهار علاقة بنية المكان بمختلف البنيات الفنية الأخرى الخاصة بالخطاب السردي.

3. أسئلة البحث

وفي إطار تحليلنا لعنصر المكان داخل هذا النص الروائي، نجد أن كل الأمكنة لها علاقة مباشرة بجائحة كورونا و أهوالها و مخاطرها، و تأثيرها السلبي إن على الأفراد و الجماعات. من هذا المنطلق تبادرت إلى أذهاننا جملة أسئلة سنعمل على طرحها لدواع بحثية و أسباب منهجية كالتالي:

1. إلى أي حد استطاع جعفر يعقوب من خلال نصه الروائي – حارس زهرة الأوركيدا – أن يعكس الحالة الوبائية التي أصبح العالم كله يعاني من مخلفاتها النفسية و الصحية و الاقتصادية و الاجتماعية؟

2. ما أهمية المكان في البناء الروائي بشكل عام، و كيف تجلى لنا داخل هذا المتن الروائي بكل أبعاده الدلالية و التأويلية؟

3. إذا كان الشكل الروائي يتميز ببنيته الجدلية المنفتحة على المجتمع و القادرة على استيعاب تناقضاته و قضاياه و أماله و آلامه إلى أي مدى استطاع جعفر يعقوب من خلال سرده الروائي، و من خلال توظيفه لعنصر المكان أن يجيد في تدوين جائحة كورونا ؟

4. أهمية البحث

تتمحور هذه الدراسة حول الحديث عن مفهوم بنية المكان في البناء الروائي بشكل عام، و عن معنى المكان في رواية الكاتب البحريني جعفر يعقوب "حارس زهرة الأوركيدا"، وهي عمل فني صدر له في البدايات الأولى من كورونا، و تعتبر من أوائل الأعمال الروائية التي أجادت في تدوين جائحة " كوفيد 19" و التي ظهرت في "وهان" بالصين الشعبية و انتشرت عبر العالم بشكل سريع يثير الدهشة و الاستغراب، و غيرت من بعد انتشارها نمط حياة شعوب الأرض، كما أنها تعتبر تأريخا لحدث عالمي وسم بالمأساوية و المعاناة. ففي هذا العمل الروائي يتم التركيز على مفهوم المكان الذي يقوم بعمل فعال في تحديد جوهر الشخصيات، و الكشف عن عمقها و سيكولوجيتها، و بالتالي ستتم الإشارة إلى كيفية توظيف الراوي لمختلف الأمكنة التي شكلت بنيتها الجائحة في هذا العمل الفني كالمطار و المحجر و البلد الذي علقت فيه الشخصيات "تركيا" كمكان سياحي يقصد من أجل السياحة و الاستجمام، و غيرها من الأماكن التي تشكل بنيات المكان لهذا المتن السردي في هذه الرواية المعاصرة. إذ استطاع الروائي أن يدخل بعمله الروائي المتكامل معترك الحياة المعاصرة لتسليط الضوء على قضية هامة و مشكلة إنسانية غاية في التأزم و التعقيد، تعتبر من أحلك القضايا الراهنة الواقعية، نخص بالذكر جائحة "كورونا" التي عانت من آثارها السلبية و الوخيمة معظم دول العالم.

5. الدراسات الأدبية السابقة

كثيرة هي الدراسات التي قاربت مفهوم المكان في كل أبعاده و تجلياته، سواء الكلاسيكية أو الحديثة أو المعاصرة. إلا أن ما يهمنا منها هنا تلك التي نستعين بها في إتمام و إنجاز هذه الدراسة، و لاسيما تلك الدراسات التي اهتمت بمفهومه داخل إطار النقد الأدبي الحديث، حيث نجد العديد من النقاد في مجال النقد الروائي سواء من الغرب أو الشرق أولوا اهتماما كبيرا لهذا الموضوع، و أفردوا العديد من الدراسات المتعلقة خاصة ببنية المكان الروائي، فهو يحتل حيزا كبيرا و محوريا في الفن الروائي بشكل عام. و لعل هذا ما جعل عزام (111:1996) في مقاربته للفضاء الروائي يؤكد على أهميته في البناء السردي، إذ أنه لا أحداث و لا شخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في الفراغ دون مكان، و من هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب، بل و كعنصر حكائي قائم بذاته. فقد وظفه العديد من النقاد في معالجة الوقائع الاجتماعية و الأوضاع السياسية و العوامل النفسية السيكلوجية التي تعكس نزعاتهم و توجهاتهم نحو الحياة بصفة عامة و المكان بصفة خاصة. فأهمية عنصر المكان على باقي مكونات السرد ترجع إلى توظيفه من طرف الكتاب و المبدعين من جهة، و إلى انجذاب القراء و الدارسين إليه من جهة أخرى. و هو الأمر الذي كرسه جعفر يعقوب في عمله الروائي، حيث طغى عنصر المكان على باقي عناصر السرد الأخرى، على اعتبار أنه المكون المحوري في بنية السرد، كما أنه أخذ أبعادا دلالية متعددة. فالمكان الروائي على حد تعبير (لوتمان، 89:1996 - Lotman) إذ عرفه بأنه مجموعة من الأشياء المتجانسة أو الحالات أو الوظائف او الأشكال المتغيرة، و قد نقل مفهومه من المستوى الفلسفي إلى المستوى السوسيولوجي، و بالتالي فالمكان في نظره حقيقة معيشة، تؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، و أردف مؤكدا أن نماذج العالم الاجتماعية و الدينية و السياسية و الأخلاقية العامة التي ساعدت الإنسان عبر مراحل تاريخية على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به، نقول إن هذه النماذج تنطوي دوما تحت سمات مكانية.

أما بوعزة (99:2010) فهو يعتبره مرآة تنعكس على سطحها صورة الشخصيات، كما يمثل المكان

إلى جانب الزمان الإحداثيات الأساسية التي تحدد الأشياء الفيزيقية، فنستطيع أن نميز بين الأشياء من خلال وضعها في المكان. فهو يشكل أحد أركان البنية التحتية – إن صح التعبير – للعمل الروائي. فلا تتم أحداث الرواية إلا في حيز مكاني. و سواء كان المكان واقعيا أو متخيلا، فإنه في خضم العمل الروائي يتلبس بالتخييل الذي يمنحه خصوصية تميزه عن المكان خارج العمل الروائي. و يلعب الروائي دورا مهما في هندسة أمكنة الرواية إما نتيجة ما اختزنته ذاكرته من أمكنة مختلفة، و إما نتيجة تجارب حياتية متنوعة. و لعل هذا هو ما عبر عنه باشلار (33:1984) حين أكد أن هندسة المكان تعني أن الراوي ينقل لنا أبعاد المكان البصرية، فنحس بمسافته، و نتعرف على جزئياته، و كأننا عشنا فيه أو رأيناه، لذلك يبقى المكان مثيرا لتجارب المتلقي و معاناته، فهناك المكان الأليف الذي يألفه المتلقي، و هناك المكان الكبير، و المكان المتناهي في الصغر، و أن الإحساس بهما يوجد في داخل المتلقي و ليس بالضرورة شيئا في الخارج. كما أطلق النقاد على المكان " الفضاء، والحيز. إذ نجد لحميداني (63:1991) في تناوله لمفهوم المكان معرفا إياه أن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم " فضاء" الرواية، لأن الفضاء أشمل و أوسع من معنى المكان، و المكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء. و ما دامت الأمكنة في الرواية غالبا ما تكون متعددة و متفاوتة فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، إنه العالم الواسع الذي يشمل الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا محددا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعا تشكل فضاء الرواية. من هنا يمكن القول إن لحميداني عمل على التفريق بين مصطلح المكان و الفضاء الذي تقابله بالفرنسية كلمة (Espace) وبالإنجليزية كلمة (Space). أما الجنداري (173:2013) فإنه يرى أنه إذا كان المكان مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس و الحجوم، فإنه لا يقتصر على كونه أبعادا هندسية و حجوما، ولكنه فضلا على ذلك، نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة و بقدر ما يستمد من التجريد الذهني أو الجهد الذهني المجرد. هكذا يصبح المكان وسطا حيويا، تتجسم من خلاله حركة الشخصيات التي تأخذ في مسارها خطا مزدوجا متناقضا، إذ تبدو أحيانا متداخلة و متشابكة، إلا أنها في أحيان أخرى تبدو متنافرة و متباعدة، فتظهر في شكل وحدات درامية منفصلة كما يذهب إلى ذلك بالقول (الصغير، 2021). إن المبدع ليعمد إلى تبئير المكان بصورة مهيمنة، فيجعل من المكان حافزا على انفتاح النص الروائي إلى آفاق كبيرة، ودافعا إلى تعميق المتخيل، و فتح المخيلة لبناء هندسة سردية للمكان، و تشييد العوالم السردية فيه. فالمكان عنصر مهم في العمل الأدبي، فلا وجود للرواية من دون وجود مكان، و لا مكان من دون وجود الرواية.

لقد شاع في مجال النقد المعاصر استخدام مصطلحات بديلة لمفهوم المكان، إذ نجد مرتاض في أعماله النقدية للفن الروائي يستعمل مصطلح " الحيز بدلا عن المكان"، و قد أعطاه تعريفا (205:2005) بأن الحيز هو مفهوم مكاني دون أن يكون على الحقيقة بالمفهوم الجغرافي، لا يقصد به الدلالة على الحيز الجغرافي للمكان الحقيقي، إلا أنه يبقى أوسع منه امتدادا و ارتفاعا و اتجاها ذا فعالية، و بالتالي فإن الحيز هو الحركة في اللامحدود. هكذا نجد مرتاض أولى عناية كبيرة لمصطلح " الحيز" و ربطه بالعمل الإبداعي و العمل النقدي. أما الناقد المغربي يقطين (204:1997) فقد انتصر إلى مصطلح الفضاء بدل المكان، حيث ذهب إلى القول: إن الفضاء أهم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد و أعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسا، إنه يسمح لنا بالبحث من فضاءات تتعدى المحدود و المجسد بمعانقة التخييلي و الذهني، و مختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء. فقد حدد سعيد يقطين معنى الفضاء بمفهومه الشامل و الواسع. إذ نستشف من هذا التعريف أن مصطلح الفضاء

أوسع و أشمل من المكان خاصة لما يحتويه من مكونات تسهم بدورها في تشكيل العمل الروائي.

إن اختيارنا لمقاربة بنية المكان في رواية "حارس زهرة الأوركيدا" لجعفر يعقوب، لم يكن وليد الصدفة أو التلقائية، و إنما كان نتيجة عدة عوامل موضوعية أهمها أن هذا العمل الروائي يعتبر انعكاسا لظروف مأساوية تؤرخ لانتشار جائحة كورونا عبر العالم و ما خلفته هذه الجائحة من مخلفات سلبية على الأفراد و الأسر و المجتمعات سواء على المستوى النفسي و السيكولوجي، والاقتصادي و الاجتماعي والتعليمي، علاوة على ما سبق ذكره أن هذه الرواية صدرت عن دار و مكتبة رؤى للنشر في شهر يونيو من سنة 2020، و يبدو أنها من أوائل الأعمال الروائية التي تناولت و تفاعلت ودونت لأزمات جائحة كورونا في وقت كان فيه العالم يعيش كل تأثيراتها السلبية على أوسع نطاق. فتحولت رغبتنا من مجرد قراءة استطلاعية للوقوف على خطابها السردي واكتشاف عالمها الإبداعي، إلى أن تصبح هذه القراءة الاستطلاعية غواية فكرية، نحاول من خلالها مقاربة بنية المكان داخل النص الروائي، لما تحويه هذه البنية المكانية من علاقات متواشجة ومتداخلة مع كل مكوناته السردية والإبداعية، وأهم سماته التعبيرية و الفنية و الجمالية. وتجسيدا لتحقيق هذه الرغبة، ومحاولة منا اختراق هذا العالم الإبداعي التي تتمازج فيه الذات المبدعة مع بنية الواقع الجديد الذي أصبح يعيش عليه العالم اليوم في ظل جائحة كورونا.

6. منهجية البحث

من أجل إنجاز هذه الدراسة، فإن الضرورة المنهجية تقتضي منا الاتكاء و الاستناد على المنهج الوصفي والتحليلي باعتبارهما من أهم المناهج البحثية، و بالتالي فهو أكثر ملاءمة لطبيعة هذا الموضوع المدروس، إذ يهتم برصد ظاهرة الجائحة و علاقتها ببنية المكان و باقي البنيات الروائية الأخرى، و العمل على جمع المعلومات و تحليلها و تقديمها بشكل علمي و منهجي للقارئ أو المتلقي، فالوصف غالبا ما يعمل على توضيح منهج الدراسة.

سيتم التركيز بعناية كبيرة على المنهج الوصفي البنيوي التكويني الذي حاول من خلاله منظره (غولدمان-1913-1970) أن يجمع بين ثنائية الشكل و المضمون في دراسة و تحليل العمل الأدبي بشكل عام و العمل الروائي بشكل خاص. كما استطاع من خلاله أن يتدارك النقص النقدي الذي خلفته الدراسات البنيوية الحديثة. فالمنهج البنيوي التكويني يعتبر من أهم المناهج النقدية ملاءمة للفن الروائي، على اعتبار أن هذا الجنس الأدبي يعتبر انعكاسا للواقع الإنساني بكل آلامه و أحزانه، و بكل آماله و أفراحه. فالروائي جعفر يعقوب من خلال عمله الروائي عمل على إنشاء فضاء روائي تخييلي مشابه لكل القضايا و الأحداث الواقعية التي يعيشها هو في واقعه الحالي، و لعل هذا هو الأمر الذي أراد أن يجسده لوسيان غولدمان في دراساته النقدية. فالمنهج البنيوي التكويني يكشف عن التناظر بين النصوص الإبداعية و السياقات الإجتماعية المولدة لها، و كما جاء على لسان (غولدمان، 1986-80) في سياق حديثه عن المنهج التكويني أنه جاء لكي يوضح العلاقة بين الإبداع الأدبي و بين الواقع الذي يعكس هذا الفن في صور و قوالب فنية و جمالية متميزة، وهي وليدة الفكر الجدلي الماركسي الذي أسسه لوكاتش –1885-1971 Lukacs). فالبنيوية التكوينية فلسفة متكاملة ذات منظور نقدي يتجاوز سلبية النقد إلى استشراف إيجابية تنسجها الجدلية القائمة بين الذات و الموضوع، تلك الجدلية الممثلة لجوهر كل علم تكويني.

و في سياق آخر عن الحديث عن المنهج البنيوي التكويني فقد أكد لحميداني(1985-11) أنه منهج جدلي يهتم بدراسة الظواهر الثقافية، ظهر من أجل فهم الثقافة و العلاقة الموضوعية بين العمل الفني و واقع تلك العلاقة التي نظرت إليها المذاهب النقدية السابقة نظرة آلية ضعيفة و سطحية. من أجل هذا الغرض تم توظيف المنهج البنيوي التكويني لكشف هذه العلائق بين العمل الفني "حارس زهرة الأوركيدا" و الواقع المعيش للروائي البحريني جعفر يعقوب من خلال وجهة نظره، و كيفية تقديمه لبنية المكان الروائي التي تدور فيه أحداث روايته.

7. الإطار النظري

إن المنهجية تقتضي منا الاعتماد على المنهج البنيوي التكويني وعرض لأهم آلياته الإجرائية، فالعملية الإجرائية بخصوص أي بحث تمثل ذلك الترابط بين الإطار النظري والإطار التطبيقي، إذ يتم الاعتماد على جملة من المصطلحات النقدية والأدوات الإجرائية في التحليل الأدبي.

فالإرهاصات الجنينية للبنيوية التكوينية كمنهج نقدي ديالكتيكي تعود إلى المؤسس الناقد الروماني-الفرنسي غولدمان (1970-1913)، فهو ينظر إلى الفن على أنه جزء من البنية الفوقية للمجتمع، ولا يمكن تحديده بعيدا عن العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المكونة للبنى التحتية للمجتمع. إذ يقوم المنهج البنيوي التكويني على جملة من الأدوات الإجرائية، يمكن تحديدها كالآتي: البنية الدالة – الفهم والتفسير- الوعي القائم، والوعي الممكن – الرؤية للعالم. وأن هذه المفاهيم مرتبط بعضها ببعض، فهي تتميز بنوع من الانسجام.

إن البنية الدالة كما هو الشأن في هذا النص الروائي – قيد الدراسة- لا تتكشف إلا من خلال مستوى الفهم الخاص بداخل النص، باعتباره بنية إبداعية خاصة بالمؤلف / الراوي الذي يعتبر مؤلفه، وواضع لبناته الأساسية. ثم مستوى التفسير الذي يصل النص بواقعه، إذ يتم ربط البنية الداخلية بالبنية الثقافية والاجتماعية والتاريخية للنص، وهو الأمر الذي يؤكده صاحب نظرية البنيوية التكوينية نفسه "غولدمان" الذي يؤكد على ربط بنية العمل الأدبي ببنية أوسع تتمثل في البنية الاجتماعية. وبالتالي فتحليل الرواية يعني التعامل مع الواقع الاجتماعي والثقافي في تماثلهما، وهو الأمر الذي يمكن أن نستشفه من خلال تحليلنا للبنيات الروائية في "حارس زهرة الأوركيدا" فبنيتها الدالة تنمو نحوها مشاعر وتفكير وسلوك الشخصيات. وبناء عليه فإن التحليل البنيوي التكويني يبدأ بالتحليل الداخلي للإنتاج الأدبي، كما يتمظهر ذلك من خلال محتوى السرد الروائي لجعفر منصور، ثم إدماج هذا المحتوى ضمن بنية أوسع، يطلق عليها البنية التاريخية والاجتماعية، وبناء عليه فإن التحليل الداخلي يمثل مرحلة الفهم، في حين أن البنية الأوسع الممثلة في البنية التاريخية والنفسية والاجتماعية وغيرها تمثل عملية التفسير. وهذان المفهومان تستعملهما البنيوية التكوينية ضمن إجراءاتها المنهجية.

فعلى مستوى الفهم ينبغي أن نقدم محتوى النص معتمدين فقط على المستوى اللغوي أو على حرفية النص، دون أن نضيف إليه أي عناصر خارجية عنه، كما يجب استخلاص نمط بنائي دال. فعملية الفهم تمكننا من وصف العلاقات المكونة لبنية النص. أو بعبارة أخرى البحث عن البنية التي تشكل كلية النص. إذ يقول غولدمان (71:1984) في هذا الصدد: "إن الفهم مسألة تتعلق بالتماسك الباطني، وهو يفترض أن نتناول النص حرفيا، كل النص ولا شيء سوى النص، وأن نبحث داخله عن بنية شاملة ذات دلالة".

أما بخصوص مستوى التفسير: فهو مسألة تتعلق بربط النص بواقع خارج عنه، بل إنه مسألة تتعلق بالبحث عن الذات الفردية أو الجماعية على حد تعبير (غولدمان، 12:1984) نفسه، إذ يذهب إلى القول في هذا الصدد:"إن التفسير ليس سوى إدراج لهذه البنية من حيث هي عنصر مكون ووظيفي في بنية شاملة مباشرة". من هنا نخلص إلى القول: إن التفسير هو النظر إلى النص من حيث الخارج ليتم دمجه في بنية أوسع.

مادامت البنية الدالة كلية تحتضن الذوات والموضوعات، وأن الذات التي تحتضنها ذات فردية جماعية تطمح إلى خلق التوازن غير المتحقق في واقعنا الراهن، فإنها تتجاوز بذلك الوعي الكائن والواقعي المرتبط بهذا الواقع إلى وعي ممكن تنسجم فيه مطالبها الشخصية التي هي مطالب جماعية عبر رؤية الكاتب للواقع.

إن الوعي الكائن لطبقة اجتماعية هو ما تعرفه تلك الطبقة عن واقعها في فترة معينة، وفي مجتمع بعينه وهو حصيلة انحرافات وأوهام يفرضها الواقع الكائن، وهكذا فكل فئة اجتماعية لها وعي كائن، وعي حقيقي أسهمت في تشكله عدة عوامل ذات طبيعة متنوعة، وهو مرتبط بضرورات وشروط الواقع اليومي بما فيه من مشاكل وعوائق تقف ضد تحقيق التلاؤم أو التوازن داخل الفرد الإنساني داخل شرطه التاريخي .

فالمنهج البنيوي التكويني حسب تعبير لحميداني (53:1991) يستهدف تفسير كل إنتاج إنساني، يعتمد على تحليل البنيات الدالة في كل الإنتاجات الأدبية و خاصة الفن الروائي، و أردف قائلا في السياق نفسه (76:1991) إن تحليل النص ينبغي أن ينطلق من بنيته الداخلية ذاتها، و أن لا يضاف إليها شيء خارجها، و أن تكون دائما غاية النص هي التوصل إلى معرفة بنيته الدالة التي يمكن أن تلخص مدلوله العام.و لعل هذا ما أكده بورحيم (5:2015) في هذا الصدد عندما وضح أن البنيوية التكوينية كمنهج نقدي يتعامل مع النص الروائي وفق تصور فكري و فلسفي يؤمن بوجود تأثير للمعطيات الاجتماعية في الواقع على الإنتاج الأدبي، ومن ضمنه الرواية التي اهتم بها في هذا الإطار. وبناء على هذا الأساس فإننا سنسلط الضوء على الإبداع الفني لجعفر يعقوب صاحب رواية "حارس زهرة الأوركيدا" و الغوص في عالمه الإبداعي، من خلال معالجة روايته هذه من زاوية الفضاء الروائي إلى جانب عنصر الشخصيات حسب منظور البنيوية التكوينية و طروحاتها و آلياتها الإجرائية.

فالنظرية الغولدمانية المتمثلة في المنهج البنيوي التكويني، تهتم بالشكل و المضمون، و بالذات و الموضوع تحت اسم "الكلية". إن الارتكان على هذا المنهج كإطار نظري نسعى من خلاله ربط بنيات الرواية وخاصة بنية المكان بالواقع الاجتماعي والنفسي الذي أصبح يعيش عليه الإنسان في زمن جائحة كورونا، التي غيرت أنماط عيش الأفراد والأسر والمجتمعات. فرواية "حارس زهرة الأوركيدا" كعمل سردي أدبي يجمع بين الواقع بكل ما يحمله من آلام و آمال، و المتخيل الذي يمشي وفق هاجس الواقع، حسب وعي الروائي و رؤاه الممكنة، عبر بنية ذهنية تعيش كل الظروف و الحيثيات الواقعية، ثم تعمل على ترجمتها تخيليا لتشيد نصا سرديا يعكس رؤى المؤلف المبدع و إيديلوجيته. فهذا النص السردي يحتوي مجموعة من الأبنية الفنية أهمها بنية المكان و التي تهمنا بشكل كبير في هذه المقاربة التحليلية، إذ تتعالق و تتشابك هذه البنيات الروائية فيما بينها لتحقق وحدته الموضوعية في نسق فني و كلي غير منفصل عن الواقع الذي أنتج لنا هذا الخطاب السردي، و جعفر

يعقوب باعتباره مؤلف النص و واضع لبناته الأساسية هو من قام بإنشاء و خلق هذا النسق الفني، فقد وظف عنصر المكان ليتفاعل مع تدوين هذه الآفة المخيفة و المميتة، و تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هذا العمل الأدبي إنما هو انعكاس لواقع معيش و تجربة إنسانية، استغل من خلالها الكاتب كل تقنيات السرد ليقدم للقارئ أو المتلقي هذا العمل الدرامي بكل بنياته السردية المختلفة. من هذا المنطلق يمكننا أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن العمل الأدبي يحوي مجموعة من الأبنية تتعالق فيما بينها لتحقق وحدته في نسق كلي غير منفصل عن الواقع و المجتمع، و أن الكاتب هو الذي يقوم بإنشاء و خلق هذا النسق، و يعطيه بنية معينة، لكن هذه الأخيرة تكون نابعة من المجتمع و غير منفصلة عنه، و هو الأمر الذي حدا بغولدمان (8:1984) أن يصرح بأن كل تفكير في العلوم الإنسانية، إنما يتم من داخل المجتمع لا من خارجه، و أنه جزء بهذه الأهمية أو تلك، حسب الأحوال – طبعا - من الحياة الفكرية لهذا المجتمع، و بذلك فهو من خلال هذا الأخير جزء من الحياة الاجتماعية الكلية. فالبنيوية التكوينية الغولدمانية تعتمد على النقد الواقعي لعمل الأديب و ثقافته و المجتمع الذي يتمثل في أعماله الأدبية. ولعل هذا الأمر يتم حسب رأي بورحيم (5:2015) وفق تصور فكري و فلسفي يؤمن بوجود تأثير للمعطيات الاجتماعية في الواقع على الإنتاج الأدبي، و من ضمنه جنس الرواية. و في إطار سياق حديثه عن البنيوية التكوينية كمنهج نقدي فإن عصفور (88:1981) يرى أن هذا المنهج يتناول العمل الأدبي باعتباره نسقا من العلاقات المتلاحمة داخليا، و أن لهذا النسق وظيفة دالة، ينبغي البحث عنها خارج العمل الأدبي. من هذا المنطلق و من رحم المنهج البنيوي التكويني الذي تم اعتماده كإطار نظري، سيتم مقاربة بنية المكان في زمن الجوائح داخل هذا المتن الروائي. و تحليل العمل الروائي يعني التعامل مع الواقع الاجتماعي و الثقافي في تماثلهما.

يمكننا أن نخلص إلى نتيجة أساسية حول البنيوية التكوينية في إطار نقدها للعمل الروائي، أن "غولدمان" يؤكد على أن البنية ليست كيانا منغلقا، يسجن الإنسان ويستبعد التاريخ، وأن هذا المتن الروائي من خلال أهم تيماته الأساسية، أجاد في تدوين وتأريخ جائحة كورونا بكل تأثيراتها السيكلوجية والاجتماعية والاقتصادية و غيرها. وقد كان لبنية المكان في هذا النموذج الروائي دور فعال في مسار السرد، فأصبحت صورة المكان في المروي الجديد تعيد شكل العلاقة بين الشخوص و بين العالم الذي يعيشون فيه. و أصبح يطرح عدة قضايا أساسية مثل الصحة و الوقاية، و الموت و الحياة، و الخوف، و الإيمان بحتمية القدر، و القرب و البعد و غيرها من القضايا و الأسئلة التي تتعلق بالحياة و المعرفة.

8. التحليل السردي للرواية

إن "حارس زهرة الأوركيدا" لجعفر يعقوب، الروائي البحريني، هو عمل روائي واقعي اجتماعي حيث أن فكرته تتمحور حول الآثار السلبية النفسية منها والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية على طبقات اجتماعية متعددة من المجتمع البحريني. فقد حاول يعقوب من خلال عمله الأدبي المتميز، أن يؤرخ لحدث خطب وجلل غير نمط حياة المجتمع البحريني بشكل خاص، و المجتمع الدولي بشكل عام، هذا الحدث الفظيع يتمثل في انتشار "جائحة كورونا"، هذه الجائحة التي أرَّقت شعوب الأرض، نظرا لما خلفته من آثار سلبية على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات.

فمن خلال الوقوف على بنيات النص السردي، سنتمكن من فتح أفق معرفي نطل من خلاله على بعض عادات المجتمع العربي- البحريني و طبائع الشخصيات و انفعالاتها النفسية، و الطبقة الاجتماعية والفكرية والثقافية والإيديولوجية التي تمثلها داخل المجتمع العربي البحريني، علاوة على تفاعلها داخل الأمكنة المحددة بعناية داخل المتن الروائي، وأبعادها الدلالية والسيمائية التي تتناسب مع تنبؤات و رؤى الكاتب الروائي "يعقوب"، هذا الأخير الذي أجاد في تدوين أحداث هذه الرواية ذات البعد الواقعي الاجتماعي والسيكولوجي، إذ أننا من خلالها سنعمل على تتبع مسار الأمكنة التي تخضع بدورها إلى سلطة الرواية، وبناء عليه و حسب رأي عجوج (2017 -2018) أن المكان يحمل دلالات متعددة تربط الإنسان بواقعه المكاني، و أن الرابط الحقيقي بين الرواية والمكان هو استشارة الإنسان، فكثيرا ما يؤثر هذا الأخير بميوله وأهوائه ومصالحه ورغباته على المكان، فيهتم ببعض الأمكنة التي توافق ميولاته و يهمل غيرها و خاصة تلك التي تتعارض مع وجهة نظره. ولعل هذا هو الأمر الذي نستشفه من خلال هذه البنية السردية لرواية "حارس زهرة الأوركيدا". فمن خلال القراءة الأولية للرواية، يتضح لنا جليا أن للمكان حضورا متميزا داخل المتن الروائي، نستطيع من خلاله فهم سلوك الشخصيات ومواقفها الانفعالية والتي لها علاقة وطيدة بطبيعة المكان الذي أصبح يأخذ أبعادا دلالية أخرى غير معهودة من مثل: إسطنبول المطار، الفندق، الشارع، المنامة - البيت، المكتبة، الجامعة، المستشفى، المطعم، السوق، غرفة الإنعاش، الحجر الصحي.... الخ.

وبما أن بنية المكان هي التي تهمنا في هذه المقاربة، فإننا سنسلط الضوء على أهم هذه الأماكن التي أشارت إليها الرواية في علاقتها مع الشخصيات والأحداث. فمن خلال المنهج البنيوي التكويني سيتم الوقوف على بنيات السرد المتعددة، فتكون قراءتنا لبنية النص الروائي وضمنه بنية المكان قادرة، بهذه النسبة أو تلك على رؤية النص في دواخله على حد تعبير (يمنى العيد، 1986).

إن رواية "حارس زهرة الأوركيدا" (يعقوب: 2020) صادرة عن دار ومكتبة رؤى للنشر، الطبعة الأولى، مطبعة تايلوس. وهي في مجملها تتكون من تسعة عشر فصلا غير معنون. تشكل بذلك البنية الدالة للبناء السردي العام، أو ما يصطلح عليه بالبنية السطحية (Surface Structure) للنص الروائي وعلاقتها بالبنية العميقة (Deeper Structure). إذ يشغل الحيز النصي للرواية تسعة عشر فصلا غير معنون، و تدور أحداث الرواية في فضاءين أساسيين: تركيا (بلد الزيارة أو الرحلة السياحية) ومملكة البحرين (الوطن الأم للراوي " أمير" وأفراد أسرته).

تماشيا مع الطرح النظري الذي تمت الإشارة إليه في هذه الورقة والذي خصصناه للحديث عن المنهج البنيوي التكويني، فإن تحليلنا لرواية "حارس زهرة الأوركيدا" لجعفر يعقوب بشكل عام، و لبنية المكان ضمن هذه الرواية بشكل خاص، سيسير وفقه، ومن خلاله سنعمل على مقاربة هذا العمل الروائي مع التركيز على بنية المكان فيه، مادامت هذه البنية هي العنصر الأساسي الذي ترتكز عليه هذه الدراسة. سنرى مدى فعالية المنهج النيوي التكويني في تحليل رواية "حارس زهرة الأوركيدا" على مستوى الفهم والتفسير؟ وماهي الحمولة الدلالية لهذه البنية الدالة في الخطاب السردي لجعفر يعقوب؟ وما طبيعة الأبعاد الدلالية لبنية المكان داخله؟

أما بخصوص مستوى البنية الدالة لهذا النص الروائي ليعقوب، فإنه يجب الوقوف على هذ البنية وتحديدها، فهي كما يقول (غولدمان وآخرون،102:1986): بأن الرواية تشكل بنية دالة معناه أن كل العناصر الدلالية على مختلف الأصعدة، تنتظم لإنتاج دلالة كلية تحتضنها وتجعلها كلية. حيث يتم

القيام بعملية تجميع كل العناصر الموظفة داخل الخطاب السردي وتنظيمها بشكل يمكننا من الكشف على دلالة عامة. ولعل هذا الأمر لا يمكنه أن يتأتى إلا من خلال الاعتماد على مفهومين أساسيين هما: الفهم والتفسير.

فعلى مستوى الفهم: تحكي لنا هذه الرواية -كقراء- معاناة أمير (الراوي لأحداث الرواية وشخصيتها المحورية) مع أسرته الصغيرة المكونة من والديه (المحامي حسين ورزان) وأخته سارة، حين علق هو وأفراد أسرته مع جموع المسافرين بمطار إسطنبول الدولي، بسبب "جائحة كورونا"، ونظرا لحالات الطوارئ وحالات التأهب القصوى، تأجلت الرحلة التي ستنقلهم إلى مملكة البحرين مع رحلات أخرى. فقد وصف لنا الراوي حالة القلق العام الذي عرى المسافرين عامة، وأسرة الراوي "أمير" بخاصة، حيث وصف لنا بشكل دقيق حالة الترقب والقلق والاضطراب والفوضى التي خيمت على جموع المسافرين بمطار إسطنبول، وفي الوقت الذي ألغت فيه سلطات المطار الرحلة؛ فقد دخل حسين أبو أمير (الّذي يعمل محاميًا في دوامة من المحاولات؛ لكنّه قرر هو وزميله غالب أحد المسافرين على الرحلة نفسها) التواصل مع سفارة مملكة البحرين من أجل الوصول إلى حلّ للمسافرين العالقين في مطار إسطنبول. إلا إن الأمر لم يكن بتلك السهولة التي تسمح لأفراد أسرة "البحرين" بالعودة إلى بلده الأم "البحرين" الشيء الذي سبب في تفاقم معاناتهم، هم ومن شملهم الحجر الصحي من المسافرين الآخرين حينئذ هناك، ولعل هذا الأمر هو الذي اضطر الأسرة إلى العودة إلى فندق "فندق بلاس فلاور" الّذي يطلّ على الشارع في حيّ من منطقة ساركجي القريبة من ميدان تقسيم الشهير. خلال العودة إلى الفندق بدأ الراوي يسرد لنا المعاناة النفسية وحالة الإحباط الشديد الممزوج بالقلق والرعب من العواقب المجهولة. مما جعل أحداث وأماكن فصول هذه الرواية يغلب عليها الطابع الدراماتيكي.

في خضم هذه اللحظات العصيبة بدأت الأم "رزان" تستذكر أحزانها التي أدخلتها في حالة من الاكتئاب القاتل، إثر مقتل ابنها البكر حسام الذّي تعرّض لحادث سير أودى بحياته قبل سنتين؛ فبدأ ألم الفقد يستحضر فكرة الرعب من فقد زوجها أو أحد أبنائها بسبب "كورونا". أما أمير فقد خيم عليه الإحباط الشديد، بل كان أكثرهم إحباطًا وخوفًا، كما بدأ الخوف يتسرّب إلى تلك الأسرة الصغيرة حينما فزعوا من وصول الإسعاف لأخذ "حبيب" النادل في مطعم الفندق إلى المحجر. وأصبح الحديث عن "الكورونا" مخيفا ومرعبا، وقد عاين "أمير" ذلك القلق على وجه أمّه "رزان" التي ما برأت من الحزن على ابنها الأكبر "حسام". الشيء الذي جعلها تحيط ابنها " أمير" وابنتها "سارة " وزوجها "حسين" بالحذر المبالغ فيه والقلق الظاهر.

في اليوم التالي ذهب حسين وزميله غالب لملاقاة قنصل البحرين في سفارة مملكة البحرين، ولما تأخرا هناك كثيرا، قلقت رزان أيما قلق؛ مما جعل أميرا يروي واصفا بشكل دقيق حالة أمّه "رزان" تلك وما يعلوها من قلق ورعب؛ وعلى الرغم من محاولات أمير في التخفيف عن أمّه، إلا أنّ القلق لم يبارحها في ذلك اليوم حتى عاد زوجها حسين إلى الفندق. وخلال لحظة الانتظار، تأتي سيدة تحمل خبر وفاة حبيب النادل بسبب الكرونا، فيخيم الحزن على الجميع من جديد، ويعمّ الصمت والرعب والحسرة على ذلك الشاب الذي قضى نحبه جراء جائحة كورونا، وعلى إثر هذا الحزن، بدأت مرحلة تحوّل في شخصية البطل "أمير"؛ إذ يدخل في حالة من الشكّ ودوامة الأسئلة الصادمة.

أما بخصوص الفضاء الروائي الثاني من النص الروائي، فإنه يستهل بخبر السفر إلى البحرين أو العودة إلى الوطن الأم، فقد كان حقا عبارة عن متنفس وبريق أمل لجميع أفراد الأسرة، فقد جاء الخبر السعيد ليفرّج شيئًا من الكآبة والقلق والشكّ عن أمير وأسرته. كما طرأ تغيير كبير على مجرى الأحداث و الشخصيات و الأماكن. كما أن دواعي الشوق كانت تنتاب "أميرا" نحو أصدقائه ولاسيما ابن عمّه حسن. الّذي يسميه بالعبقري.

عادوا جميعًا إلى البيت وغمرتهم الفرحة والسرور؛ فأخذت الأمّ تحدّث أبناءها عن رحمة الله بهم وألطافه عليهم بالعودة إلى الوطن سالمين. أمّا البنت "سارة" فقد آثرت العزلة في غرفتها لتأخذ قسطًا من الراحة.

أما "أمير " فقد تلقى مكالمة هاتفية من زميلته "أزهار" بالجامعة؛ تهنئه بسلامة العودة إلى الوطن وتدعوه للقائها في مكتبة الجامعة كي يستكملا بحث الأدب الإنجليزي.

كما كان "كميل" هو الآخر أحد أصدقاء أمير، اتصل به وأخبره أنهم سيلتقون في " مطعم حاجي " بسوق المنامة القديم فأخبر والدته بذلك؛ أذنت له وحذّرته باتخاذ الاحتياطات الاحترازية. وفي عبق سوق المنامة التقى الأصدقاء، وفي غمرة سعادتهم باللقاء وبالأحاديث الجميلة في موضوعات كثيرة؛ " جديد الأفلام، أنواع المعسّل، ساعات الفينيكس Fenix5 لحساب السعرات الحرارية.. " (يعقوب:98:2020). أثناء هذا اللقاء أخبر كميل عن حالة صديقهم أحمد رحيمي الّذي أصابته الكرونا، و قد وصل إلى حالة حرجة، وفي المساء سمعوا بموته " انزاحت عنّا جميعًا بهجة اللقاء.. مع المساء شاع الخبر، رحيمي في ذمة الله" (يعقوب،100:2020).

يلتقي أمير ب "أزهار" بمكتبة الجامعة، و هي فتاة جميلة ونشيطة وفطنة وسيدة للذوق؛ إذ بادرت أميرًا بالاعتذار لإقحامه في اجتماع حضوري في هذا الظرف الاحترازي على الرغم من حظر الدراسة في الجامعة.

كان اللقاء يشعر أميرًا بالسعادة وبالمودة والاحترام، " استغرقنا لفيفا من الوقت نحذف ونضيف بعض التحليلات التي كتبناها على مسرحية " حلم ليلة في منتصف الصيف" للأديب الإنجليزي وليم شكسبير الذي عاش في زمن ما يعرف بعصر النهضة في بريطانيا" (يعقوب،102:2020).

كما أنها سألته عن سفره إلى تركيا فوصف لها الرحلة بالجحيم. ثم بدأت ثورة الأسئلة لدى أمير من جديد. تلقت أزهار ذلك بحكمة ووعي وقالت:" أفهمك، وأقدّر الظرف الّذي عشتم فيه، والذعر والبعد، لكن لا أفهم دواعي رأيك، ربّما تحتاج إلى نقاش مستفيض" (يعقوب،105:2020).وبعد نقاشات بينهما اتفقا على النقاش في الجدليات العقائدية. وكانت أزهار مثقفة في ذلك كثيرا بحكم أنها تنحدر من عائلة دينية مثقفة. وفي طريق عودة أمير إلى بيته وهو يقود سيارته في الشارع العام سرح يفكّر في شخصية أزهار؛ "وكيف لها وهي بهذا اللباس المحتشم جدًّا أنْ تنخرط في أنشطة الجامعة، وتتفوّق، وتلقى هذا الترحيب والاحترام من الدكاترة والطّلاب، وما سرّ جاذبيتها؛ لتقترب من الجميع بمسافة واحدة؟... أعترف أنّ نظرتي لأزهار هذا اليوم خاصة من زاوية مختلفة، أقسم كأنّها لأوّل مرة تطلّ على شاشة عيني، لكنّي تراجعت خطوة لألمح المسافة الكبيرة بين فكري المنفتح، والّذي مؤكّدًا لا يروق لعقلية المتدينين." (يعقوب،107:2020).في هذه الأثناء تذكّر صديقه وابن عمّه حسنا بما يمثله من فكر سطحي "وأزهار لن تختلف عن العبقري حسن ومع ذلك أحبّ حسنا!")

(يعقوب، 107:2020). تتوالى أحداث الفصول الأخيرة من الرواية و تتعالق شخصيات الرواية مع الشخصية المحورية " أمير"، حيث يزور أمير ابن عمه حسنا ليقدم له حلاوة حافظ مصطفى التي جلبها له من إسطنبول. على الرغم من أنه التقاه في بيته، فإنهما لم يتصافحا ولم يتعانقا احترازًا طبيًا كما أوصى الفريق الطبي البحريني على الرغم مما بينهما من شوق" منذ صغرنا ونحن نقضي وقتنا في هذه الغرفة المقرفة، وكبرنا ولا زالت الفوضى في كلّ ركن منها". أخذا يتبادلان أطراف الحديث ويضحكان. إذ بدأ حسن يعاتبه على تغريدته و كلامه الضال. يقول حسن مخاطبًا أمير:" أظنّ أنّ تفكيرك هو المصاب بالكرونا. وأعتقد أنّ مخّك مصنع الفايروسات، والكرونا تخاف من فيروساتك النتنة." (يعقوب،114:2020)

بعد أن غادر أمير ابن عمه حسنا؛ دار في عقله هذا الكلام:"يوما بعد يوم الكرونا تشتد فتكًا بالعالم، والذعر ينسج خيوطه السوداء، مثل عنكبوت لئيمة؛ لتخنق فريستها. وأنا أضحيت واحدا من ضحاياها...لاسيما بعد أن أضاءت الإشارات الحمراء، وبدأت إحصاءات المصابين ترتفع بشكل غير طبيعي. لدرجة أصبحت متابعة الأخبار لا تختلف عن تناول سمّ ناقع أو أشد خطورة. العزلة بين جدران البيت يوما بعد يوم تدمّر مزاجي، بل أعترف أنّها تحنّطني، كموميا‌ء، والجميع مكرهون على الحجر المنزلي، وعلينا أن نعتاد هذا السجن الإجباري." (يعقوب،115:2020). كما وجه أمير جملة أسئلة إلى "أزهار" عن العدل الإلهي و غير ذلك عبر مراسلات الواتساب؛ فتجيب عنها بمنطقية وإقناع؛ تبدأه بسؤال "لو أن سيدًا عطوفًا في المدينة فتح بستانه الواسع، بأشجاره الوارفة الظلال، وثمارها اليانعة، وكل شيء فيها، وسخّرها لخدمة الناس وراحتهم، ووضع لهم نظامًا دقيقًا، ليمشوا عليه أيضًا؛ لضمان العدالة والحياة الكريمة لهم. وبعد حين استغلّ بعض الأقوياء البستان، فمنعوا الناس من خيرات البستان... أكنت يا أمير ستتهم السيد الكريم بالبخل وإهمال الرعية وتجويعهم؟" (يعقوب، 121:2020). تستمر النقاشات والحوارات بين أمير وأزهار على هذا المنوال في مناقشات طويلة تنتهي بتغير قناعات أمير. كما أنها طلبت منه أن يقرأ كتاب " منابع القدرة في الدولة الإسلامية " للسيد محمد باقر الصدر. استغرب من طلبها لكنّه قرر قراءته؛ بحث عنه فوجده عند حسن الذي استغرب من هذا التحوّل عند أمير. " لكنّ زاوية اهتمامي حادّة... استلقيت على السرير، وعيناي تنغرسان في كتاب الصدر. ربما تضحك أمّي لو رأتني بهذا الحال. ستقفز عيناها من جمجمتها من الدهشة. أتخيّلها ستصرخ، وتقول لي، وضحكتها بلا شك أول ما تنط من شفتيها:

تقرأ كتاب "منابع القدرة في الدولة الإسلامية"؟

هل عيني مصابة بالرمد، أم أنا أحلم؟ مدد يا الله مدد.(يعقوب، 121:2020) وتوالت الأحداث حيث أنهى أمير واجبه الجامعي وهو كتابة تقرير عن "رواية فرانكنشتاين" وأرسله للدكتور شكيب. ثم راسل أزهار يناقشها في بعض ما طرحته من أفكار حول العدل الإلهي.

و في اليوم التالي استفاق على خبر مؤلم؛ بعد أن أصيبت خالته حكيمة بالكورونا، و كانت حالتها حرجة. حيث دخلت غرفة الإنعاش.

حينما فتح أمير الواتساب وجد رسالة من أزهار:"لماذا الاختفاء، أيها الفيلسوف؟ طمنّي عليك.

أرسلت لك ردًا" (يعقوب، 137:2020).

بعد أن فتح أمير إيميله وجد رسالة من أزهار تردّ فيها على تساؤلاته وتبدد شكوكه. "ياه.. لماذا اعتقدت في تلك اللحظة أنّ ما كنت أعتقده جبلا رصينا قد تلاشى كالسراب حينما اقتربت منه؟ لماذا لم تكن شمس الحقيقة واضحة لي على الرغم من البديهيات التي يمكن أن يوقظها العقل الهادئ؟ هو ذاك مجرد ضباب ما أسرع أن تقشّع حين ألقت عليه أزهار نفحة من نسماتها! خجلت من نفسي، لعلّه خجل الندم." (يعقوب، 143:2020).

أخذ أمير صورة خالته ويهو يتأملها ويتأمّل في حاله كيف كان في غفلة الحياة مشغولا عن اللجوء إلى الله. فوجد نفسه مدفوعًا إلى لوحة الكمبيوتر ليراسل أزهار: "أزهار أريد أن أرى الله. هل هذا ممكن؟ كنت أريد من قبل أن أرفع طرفي إليه؛ لأطلب منه أن يسمعني، لكنّني حقا خجلت. خجلت أن ترتفع يدي تستجديه وأنا لا أعرفه كما يجب أن أعرفه، وربما كنت بعيدا بعبدا جدا عنه" (يعقوب، 148:2020).

تردّ عليه، ومن ضمن ما قالت:"أمير، لم تكن عينك غافلة؛ لتطلب أن تراه. عينك التي أبصرت الطريق بهذه السرعة، لا شكّ أنها ترى، وببصيرة نفّاذة أيضًا. عينك التي أزاحت غشاوة الأوهام الشائكة، واقتلعت خيوط العنكبوت المتراكمة، هي بالفعل قريبة من الله."(يعقوب، 149:2020). وبعد حوار يردّ أمير في نهاية المحادثة:" شكرا لك أزهار. ملحوظة: أعترف بالهزيمة، وأنّك انتصرتِ فعلا، ولكنني ربحت من هزيمتي أكثر ممّا سأربحه، لو انتصرت عليك." (يعقوب، 151:2020).

يسترسل هذا الجزء من الرواية في سرد أحداثها المأساوية عن آثار جائحة كرونا:" دقت أجراس الخطر، وارتفعت صرخات الاستغاثة عبر شبكات التواصل ونقل الأخبار. صارت الكرونا مثل الهشيم... وأسرع بكثير مما هو متوقع... الشوارع خالية، والمدن والقرى تسكنهما وحشة الخوف القاتل، والنعاء يدندن بين جدران المنازل والمستشفيات."(يعقوب، 151:2020).

في هذه الأثناء يخبر كميل أميرًا أنّه التحق بأفواج المتطوعين للجنة الوطنية لمكافحة كوفيد 91. فواجه أمير الخبر باستغراب، ولكن كميلا أقنعه بأنّ هذا عمل إنساني وأنها مسؤولية اجتماعية وأنّ زملاءهما في الجامعة قد التحقوا بذلك. "الكثير من زملائنا وزميلاتنا في الجامعة التحقوا بالتطوع في اللجنة الوطنية؛ لسدّ الفراغات وتقديم الدّعم، مثل سمح، الكوفي، عائشة، عقيلة، أزهار، بو حجّي... إلخ."(يعقوب، 155:2020).

هزت كلمات كميل أميرًا، وتذكر المعاناة، وتذكر خالته حكيمة؛ واحتقر نفسه لأنه مازال مترددا لم يتخذ قراره. في البيت كانت تصارعه الهواجس، فجأة بث تلفزيون البحرين أغنية عن التطوع وحماية الوطن من الأخطار؛ راحت الكلمات تنساب في روحه، فالتفت إلى أبيه قائلا:" أبي بعد إذنك، سأتطوّع في اللجنة الوطنية لمكافحة كوفيد 91."(يعقوب، 751:2020).

حاولت أمه أن تثنيه عن فكرة التطوع إلا أنه ظل مصرا على الانخراط فيه، فانتهى به الأمر في التسجيل بقائمة المتطوعين في اللجنة الوطنية لمحاربة كوفيد 91. و بعد قيامه بالواجب الإنساني و الوطني، و مزاولته لمهامه انقطعت عنه أخبار أزهار التي كانت تعمل ضمن الصفوف الأمامية بإحدى المستشفيات العامة. فانشغل تفكيره بها: "لكن بحق لم تبرح أزهار تفكيري أبدًا. نعم كنت أفكر بها، وكثيرًا. لن أخجل من قول هذا. أظنّني تجاوزت مساحة الكذب على نفسي."(يعقوب، 174:2020).

و في خضم هذه الأحداث، سمع أمير بنبأ وفاة أزهار، نتيجة تعرضها للإصابة بفيروس اللئيم، حيث صدم من هول الخبر، و كان الحدث دراميا جدا ". جمدتُ في مكاني شعرتُ بدوار من هذه الصاعقة. اشتعلت نيران الحزن في قلب أمير؛ وعبثًا حاول كميل أن يخفف من حجم الفاجعة الفادحة التي ألمت بقلب أمير، والتي ضربت مرفأ حياته. يفصح أمير عن ألمه قائلا:" مررت بأيّام عصيبة جدًّا جدًّا، لا أصدّق أنّ أزهار " الملاك "– كما وصفتها أمّي – حلقت بأجنحتها البيضاء وراء الغيم. مضت أزهار، وبقيت أمّي وديم الحنين وعطر زهرة الأوركيدا."(يعقوب، 184:2020).

أما فيما يخص مستوى التفسير، أو شرح البنية الدالة للنص الروائي بشكل عام أوبنية المكان فيه بشكل خاص، فإن الأمر يتطلب أولا الوقوف على مستوى الفهم، ثم الانطلاق منه إلى مستوى التفسير أو التأويل الدلالي، إيمانا منا أن المفاهيم الإجرائية للبنيوية التكوينية مرتبط بعضها ببعض. فإذا كانت البنية الدالة لا تتضح إلا من خلال الفهم، فإن مرحلة التفسير تعمل على إيصال النص بواقعه الخارجي، بما في ذلك كل العوامل الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية والنفسية وغيرها، وكذا بمؤلفه "جعفر يعقوب" الذي يعتبر كاتب النص الروائي، و واضع لبناته الأساسية، بمعنى أن هذه العوامل والشروط هي التي كانت وراء إنتاج هذا النص الروائي الذي أبدع فيه المؤلف في تسجيل و تأريخ جائحة كورونا التي لا تزال المجتمعات البشرية تعاني من آثارها و مخلفاتها. من هذا المنظور نجد أن البنيوية التكوينية لا تلغي دور الكاتب أو المؤلف، ولا تجرد النص الأدبي من وظيفته التاريخية. بل نجدها تهتم ببنية النص بشكل شمولي، من خلال الفهم والتفسير، و تضع مفهوم الرؤيا للعالم، إذ تتحدد من خلاله تطلعات و نوايا الكاتب، و إيديولوجية الطبقة الاجتماعية التي يمثلها من خلال هذا الإبداع الفني.

إن مقاربتنا لرواية "حارس زهرة الأوركيدا" كرواية عربية، تنطلق من واقع مجتمعي بحريني يعكس قضايا واقعية منها ما هو اجتماعي وسياسي وديني وثقافي، تمثلها شرائح اجتماعية معينة، في زمن انتشار "جائحة كورونا "هذه الأخيرة التي زادت الوضع تأزما وعنفا.لقد أجابت المقاربة على سؤال البحث الأول والذي عكس الحالة الوبائية للعام بسبب تفشي كورونا ويمكن تقسيم هذا النص الروائي إلى قسمين أساسيين: يشكل القسم الأول، فضاء دولة تركيا كبلد سياحي، استقطب أميرا وعائلته من أجل رحلة سياحية ترفيهية، كانت نهايتها مأساوية ودراماتيكية. حيث أصبح الشغل الشاغل لأمير وأسرته هو الصراع من أجل العودة إلى أرض الوطن، في زمن شلت فيه حركة التنقل و السفر جراء الحجر الصحي، و أصبحت الأمكنة تأخذ أبعادا دلالية مغايرة لما كانت تحمله من قبل، أما القسم الثاني فهو يشكل فضاء العودة إلى أرض الوطن (البحرين) وما رافقتها من أحداث انتهت كذلك بمأساة دراماتيكية تجسدت في الموت (موت أزهار).

فمن خلال هذين الفضاءين، نجد أن للمكان حضورا متميزا في النص الروائي ليعقوب (2020) والذي يجيب على سؤالي البحث والذي يركز على أهمية المكان وطبيعة أبعاده في السرد الروائي. والذي نتتبع من خلاله سلوك الشخصيات، ومواقفها الانفعالية والتي تعبر بدورها عن الحالات الانفعالية للمكان،

فهو يحمل دلالات متنوعة وعلاقات مختلفة بين شخصيات الرواية التي كانت تتفاعل مع بعضها في هذا الفضاء الروائي. فكل هذه العناصر تخضع لرؤية الكاتب التي يحددها ضمن مساره السردي، وهي بالتالي تترجم قدرته ومهارته الإبداعية. فقد تمكن من خلال هذا النص الإبداعي أن ينقل لنا الواقع المعيش للمجتمع البحريني زمن انتشار جائحة كرونا، و نجح بالتالي في تحقيق القراءة لدينا كمتلقين لهذا النص الروائي. و بالتالي فحضور المكان يغني و يسهم في اشتغال البنى المكونة للسرد الروائي في رواية "حارس زهرة الأوركيدا" فالمكان الروائي على حد تعبير (بحراوي، 1990: 32) يؤسس فيه المبدع الروائي بدقة متناهية تأسيس العناصر الروائية و إعطائها السمة التي يرتكز عليها، كما أن المكان يعبر عن مقاصد المؤلف و تغيير الأمكنة الروائية، مما سيؤدي إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة، و بالتالي في تركيب السرد و المنحنى الدرامي الذي يتخذه.

فصعوبة الرواية على حد تعبير (غلاب، 1972: 136) تتأتى من أنها ميدان خصب ثري للتجارب الحياتية التي يكتسبها المؤلف و هو يعيش بين الناس و الأفكار و النظريات و النفسيات و المجتمعات، ثم وهو يتخيل أشكالا وأنماطا من حيوات المجتمعات التي يبنيها. و تأتي براعة لتجمع الأحداث بخيط يربط الصلة بينها، وتنسق الأفكار بحيث تخدم جميعا الهدف من الرواية دون نشاز أو اختلال. فالكاتب المبدع من خلال عمله يعتبر عضوا فعالا في المجتمع الذي يعيش فيه، و يمثل إحدى شرائحه الاجتماعية تمثيلا ثقافيا و أيديولوجيا، و خاصة القراء الذين يتلقون أعماله الفنية و الأدبية. فجعفر يعقوب هنا ينقل الواقع المعيشي البحريني زمن كرونا بشكل جمالي و فني من أجل جلب انتباه القارئ أو المتلقي، إذ يعتبر إبداعه نتاجا لظروف اجتماعية و انفعالات نفسية و سياسة و عقدية و غيرها و لعل هذا هو ما يطلق عليه في المنهج البنيوي التكويني ب "الرؤية للعالم" أي رؤية جعفر يعقوب للعالم التي يمررها عبر الشخصيات و الأمكنة الروائية و هيكلية أو شكل الرواية. حيث ضمن نصه الروائي عدة قيم اجتماعية و فكرية و ثقافية و عقدية و تاريخية من خلال تأريخه لجائحة كرونا و ما خلفته من آثار سلبية على المجتمع البحريني و المجتمع العالمي ككل. من هذا المنطلق يمكننا القول: إن البنيوية التكوينية تهتم بالشكل والمضمون وبالذات والموضوع تحت اسم الكلية، فإلى جانب اهتمامها بالمضمون فهي كذلك تهتم بما هو جمالي وفني، و هو الأمر الذي تعكسه القيمة الفنية و الجمالية لرواية جعفر يعقوب.

إن العمل الأدبي حسب منظور البنيوية التكوينية يقوم بتقديم واقع نصي متخيل، يمثله النص الروائي "زهرة الأوركيدا" لجعفر يعقوب الذي يعتبر واضع لبناته الأساسية، وأن هذا العمل الفني تعبير عن واقع مجتمع بحريني- عربي، كان يعاني -كغيره من شعوب العالم- من الآثار السلبية لجائحة كرونا، فالنص الروائي في ظاهره بمثابة تاريخ يسجل لنا أحداث هذه الجائحة الخطيرة وما خلفته من آثار نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية على مجتمع البحرين بشكل خاص، وعلى المجتمعات الأخرى بشكل عام.

هذا الواقع البحريني المعيش عبر عنه البناء السردي لرواية "حارس زهرة الأوركيدا"، وهو بالتالي يعكس رؤى إيديولوجية لطبقات اجتماعية معينة في مملكة البحرين، عبرت عنها الشخصيات الروائية، التي كانت تتفاعل فيما بينها داخل الفضاء الروائي، لاسيما أنها تحمل وعيا قائما ممكنا -حسب النظرية البنيوية التكوينية -، فهذه الطبقات الاجتماعية تحمل آمالا و آلاما، تطمح لتحقيق آمالها وطموحاتها و تطلعاتها، و تسعى جاهدة للعمل على تغيير و تجاوز كل ما يشكل آلامها وأزماتها اعتمادا على وعيها الممكن، على الرغم من العوائق التي تقف سدا منيعا أمام هذا التجاوز أو التغيير.

ولعل إمكانية التغيير أو التجاوز هذا، هي ما يصطلح عليه في الفكر البنيوي التكويني (1970-1913) برؤى العالم. ولعل هذا النوع من الوعي الذي تحمله هذه الطبقة أو الطبقات الاجتماعية داخل المتن الروائي يرتبط ارتباطا وثيقا بوعي الروائي الذي يمثله هنا جعفر يعقوب، الذي يعبر عن جل قضاياها الإيديولوجية والاجتماعية، والثقافية والفكرية والعقائدية، والسياسية، والنفسية، وغيرها

9. الخاتمة

اعتمادا على المنهج البنيوي التكويني من أجل مقاربة مفهوم المكان في رواية "حارس زهرة الأوركيدا" لجعفر يعقوب، فهذا لا يعني أننا توصلنا إلى كنه كل الأبعاد الدلالية والجمالية للمكان الروائي، إذ يبقى النص مفتوحا على كل المناهج و الدراسات النقدية الأخرى، و تظل كل التأويلات ممكنة حسب خلفية المتلقي. فالاتكاء على المنهج البنيوي التكويني في أي مقاربة تحليلية للنصوص الأدبية، فإنه غالبا ما ينتصر للمضمون على حساب الشكل، و هو الأمر الذي نلمسه من خلال هذه المقاربة للبنية الدالة للنص الروائي لجعفر يعقوب، و هي مسألة لا تعتبر عيبا في البنيوية التكوينية.

و بما أن مفهوم المكان هو الذي يهمنا في هذه المقاربة، فإننا نستنتج ما يلي:

إن السمة الأساسية لعنصر المكان في رواية جعفر يعقوب، يغلب عليه البعد الواقعي الموضوعي، فقد أجاد المؤلف في توظيف الأمكنة التي تخدم الهدف الروائي، كما أنه التزم بنقل تجربة إنسانية و واقع معيشي بشكل موضوعي، استطاع من خلاله أن يؤرخ لجائحة " كرونا" و أجاد في و صف آثارها السلبية على الشخصيات الروائية في علاقاتها مع الأمكنة الروائية في قالب فني بديع، يجعل القارئ أو المتلقي يتفاعل معه. فقد صور لنا تجربة البطل و الراوي الروائي "أمير" و تجربته الإنسانية المريرة جراء الحجر الصحي في مطار استنبول بتركيا و معاناته مع أسرته بخصوص العودة إلى الوطن الأم (البحرين).

فعلى الرغم من أن هذه الأماكن الموظفة في الرواية يغلب عليها طابع العمومية أي أن معظمها أماكن عامة (المطار، الفندق، الجامعة، المطعم، المستشفى...)، هذه الأماكن عادة ما يشعر فيها الإنسان بنوع من الألفة و الفرجة و الحرية المقيدة، فإنها في زمن كوفيد 91، أصبحت مصدر خوف و قلق و توجس و أصبحت بالتالي أماكن معادية كالسجن و أماكن الحجز و غيرها من الأماكن المرعبة.

كان للمكان حضور متميز في رواية "حارس زهرة الأوركيدا" مكننا من فهم سلوك الشخصيات الأساسية في هذا النص السردي، فمواقفها الانفعالية تعبر عن الحالات الانفعالية للمكان نفسه، و هو الأمر الذي يساعد على فهم عمق التجربة المكانية، و طبيعة علاقتها التفاعلية مع الشخصيات التي يقدمها المؤلف لخدمة هدفه الروائي. إذ غالبا ما تترجم هذه العلاقة التفاعلية رؤية المؤلف وأيديولوجيته، و تعكس بالتالي قدراته الفنية و الإبداعية في التعبير عن الواقع الثقافي و الاجتماعي و العقدي و النفسي و غيره الخاص بالمجتمع البحريني.

المصادر والمراجع

باشلار، غاستون.(1984). *جماليات المكان*.ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، ط: 2، بيروت – لبنان.

بوعزة، محمد.(2010). *تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم*. الدار العربية للعلوم ناشرون – دار الأمان – ط: 1، الرباط – المغرب.

الجنداري، إبراهيم .(2013). *الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا*. دار تموز، الطبعة: 1، بيروت – لبنان.

الصغير، أحمد العزي.(2021).*الفضاء و تشكلاته السردية في الرواية العربية الحديثة*. بحث منشور على صفحته على الفيسبوك – تاريخ الاطلاع 8 مارس.
https://www.facebook.com/alamedbag/posts/425638900781445.

العيد، يمنى. (1986). *الراوي الموقع والشكل بحث في السرد الروائي*. ط 1، مؤسسة الأبحاث العربية ص: 16، سنة.

عجوج، فاطمة الزهراء.(2017).*المكان و دلالته في الرواية المغاربية المعاصرة*. أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، الرواية المغاربية و النقد الجديد – جامعة سيدي بلعباس – الجزائر.

عزام، محمد.(1996). *فضاء النص الروائي: مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان*. دار الحوار للنشر و التوزيع.

غولدمان، لوسيان.(1984). *المنهجية في علم اجتماع الأدب*. ترجمة: مصطفى المسناوي. ط: 3، الدار البيضاء – المغرب.

غولدمان، لوسيان.(1984).*المنهجية في علم اجتماع الأدب*. ترجمة مصطفى المسناوي ط: 1، الدار البيضاء – المغرب.

غولدمان، لوسيان.(1986). *البنيوية التكوينية و النقد الأدبي* .ترجمة محمد سبيلا – مؤسسة الأبحاث العربية ط 2، ص: 80، لبنان .

غولدمان و آخرون.(1986).جاك لينهارت، يون باسكادي، جاك دوبوا، جاك دوفينيو، ر.هندلس. *البنيوية التكوينية و النقد الأدبي*.ترجمة: رشيد بن حدو، مؤسسة الأبحاث العربية، ط: 2، بيروت – لبنان.

غلاب، عبد الكريم.(1972). *دفاع عن فن القول*. النشر و التوزيع: دار النشر المغربي، ط 1، الرباط، المغرب.

لوتمان، يوري. (1986). *مشكلة المكان الفني: المكان و الدلالة*. ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف العدد 6".

لحميداني، حميد. (1985). *الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي*. دار الثقافة، الطبعة 1، المغرب .

لحميداني، حميد. (1991). *بنية النص السردي*.المركز الثقافي العربي، الطبعة:1، الدار البيضاء – المغرب.

لحميداني، حميد.(1990). *النقد و الإيديولوجيا: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي* . المركز الثقافي العربي، ط:1، بيروت – لبنان .

مرتاض، عبد الملك.(2005). *في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد*. دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران – الجزائر.

يقطين، سعيد.(1997). *قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية*. المركز الثقافي العربي، ط: 1، الدار البيضاء – المغرب.

يعقوب، جعفر. (2020).*حارس زهرة الأوركيدا*. دار ومكتبة رؤى للنشر، الطبعة 1، مطبعة تايلوس.

Dr Mustapha Saidi is a senior lecturer of Arabic and Islamic Studies at the University of the Western Cape. He has lectured at UWC since 2003 and successfully supervised numerous Honours, Masters and PhD dissertations during this time. His areas of research include Arabic literature, Islamic Studies, Islamic Theology & Philosophy, Linguistics & Translations and TAFL. Dr Saidi is also a Sworn Translator and ex-Officiol Commissioner of Oaths registered with the South African High Courts for the languages of Arabic, French and English since 2002. He has published extensively in accredited journals. Furthermore, he has participated and presented papers at numerous local and international conferences, colloquiums and webinars.

Assoc. Prof. Ali A.E.M.H. Farhan is a Bahraini citizen who is currently employed at AlAhlia University in Bahrain as an Associate Professor of the Arabic language. He has held the position of Chairperson of the Department of Arabic and General Studies until September 2020 and is currently the Head of the Centre for Arabic and Middle Eastern Studies. He has been teaching Arabic for 31 years and has also published numerous book chapters and articles in the field of the Arabic language, literature and literary criticism. He is also an External Examiner for UWC and is involved in numerous Master Graduate examinations. In addition, he has participated and presented papers at numerous local, regional and international conferences, colloquiums and webinars.